بين المـــرأة والرجل

هل الشرق شرق والغرب غرب فى كل شئ ؟

للآنسة زينب الحكيم

كان من بين البلاد التى زرتها أثناء رحلتى الطويلة بلاد كردستان . ولقد كانت من أعظم المخاطرات وأكثرها فائدة ، ذلك لأنى اكتشفت عالماً مجهولاً للكثيرين . أما ما قمت به من مخاطرات ، وما وصلت إليه من دراسات متنوعة فسأكتب عنه فى غير هذه المناسبة . وأخص هذه الرسالة بشىء من الأدب الكردى الذى حُبِّبت إلىّ دراسته وتقصيه ، لأثبت أنه على قدر ماوجدت تبايناً كثيراً بين الشرق والغرب فى كثير من الموازنات التى عملتها ، وجدت تشابهاً عظيماً بينهما بحيث نستطيع معه تحديد تباين الشرق عن الغرب ، أو توافقهما فى وجهات لا تحتمل الجدل مثل النواحى العاطفية ، والروحانيات ، وتصرف المرأة هنا وهناك

الشاعر الكردى يستوحى إلهامه

وإنى لذاكرة فيما يلى قصة أدبية ، وهى عبارة عن قطعة تمثيلية غنائية عنوانها « الوردة الدامية » من نظم الشاعر الكردى الشاب الأستاذ عبد الله سليمان (كوران) من أهالى السليمانية عاصمة كردستان وقد ترجمتها نثراً إلى اللغة العربية

الوردة الدامية

حوار بين فتى وفتاة :

الفتى — هناك يافتاتى فى ذلك البيت حفلة زفاف ورقص وفرح
ألا تسمعين أنغام الناى ، ودقات الطبول المرقصة ؟
ألا ترين الزحام الباهر من الرجال والنساء يغنون ويرقصون ؟
كم أود أن أسمع هناك رنّات حليتك الفضية وأنت ترقصين !
هيّا ... بربك ، هيّا ... نلحق بهم إذن
ونرقص ونرقص إلى أن يشبع فؤادى ...

الفتاة — كلا أيها الفتى ، لن أذهب ولن أرقص معك
ما دامت لا تزين رأسى وردة حمراء ووردة صفراء

الفتى — يا فتاتى أستحلفك بجمالك ودلالك ولحاظك الساحرة
فى طريقك إلى عين الماء
أنظرى إلى الأوراق المتساقطة. أنظرى إلى الأغصان العارية.
إننا فى فصل الخريف ...
أين نحن من الورود ؟ ثم لماذا الورود ؟
أليست شفتاك المتفتحتان بالبسمة الجميلة أجمل من كل شىء ... ومن الورود ؟

الفتاة — لا يا فتى ، لن أذهب ولن أرقص معك ،
ما دامت لا تزين رأسى وردة حمراء ، ووردة صفراء !
لو كنتَ مانحاً قلبك لى بكليته حقيقة
لاستطعت إحضارهما من حديقة الأمير
وكل ما أطلب وردتان فقط !

* * *

يذهب فتى ويغنى متمماً

الفتى — حديقة الأمير ... بينى وبينها نهر يفيض ويثور ،
وتحيط بها قبائل معادية لا ترحم
إذا ذهبتُ : فالطريق وعر ولا أمل لى بالرجوع ،
وإذا لم أذهب :

آه ! ! لن ترقص معي فتاتي ، ذات العيون الساحرة
« يبتعد عن القرية شيئاً فشيئاً »

— ٢ —

الفتى — توغلت في حديقة الأمير ، من أقصاها إلى أقصاها
أما الوردة الصفراء فها كها . أما الحمراء فلم أجدها والأسفاه .
لست أدري أترضين الآن أن تراقصيني ؟

الفتاة — لا ... لن أراقصك .. لن أراقصك ... من غير الوردة الحمراء الجميلة

الفتى — « يمك ياقة قميصه مشيراً إلى الصدر في محل القلب » ألا تقبلين هذا الجرح الدامي ، بديلاً عن وردتك يا فتاتي ؟

الفتاة — والهفي ... أأصابك رصاص العدو ؟
أتسقط هكذا من شدة الألم ؟
إذن ضع رأسك على صدري وأنت تحتضر ،
ولأبك على قلب افتقدته من أجل وردة

* * *

هـذه القصة التي تعبر بروعة خيالها عن حقيقة عقلية الرجل الكردي ، إنما تعبر ضمناً عن ناحية من نواحي نفسية المرأة الكردية المعروفة بقوة الإرادة والشجاعة والحسن الفائق ، والنفسية المرحة السامية ، والعقلية الخصبة على جدب معينها العلمي ، وقسوة بيئتها وإن عوضها جمال مناظر جبالها ، وجودة هوائها ، وكثرة ثمارها كثيراً مما تفتقده من أسباب الحياة الرغيدة ، ونور العلم وميزات المدينة . والمرأة الكردية على غمرة عواطفها أمينة في الحب ، قاسية فيه ، مضحية إلى الموت ، ولكنها صلبة الرأي إلى درجة شاذة انتصاراً لمبدأ أو إخلاصاً لحبيب أو صديق ، كما أنها على لطافة خلقها شرسة منتقمة إذا أرادت

هذه القصة من الأدب الكردي أذكرتني بحادثتين وقعتا لرجلين من مشاهير الرجال أذكرهما فيما يلي ، حتى ترى أن ليس الشرق شرقاً والغرب غرباً في كل شيء

(١) قفاز

سمعت قصة هذا القفاز زمناً طويلاً من الجدات والكهول ، عن سيدة كان مغرماً بها دي لورج «De Lorge» الضابط النابه الذي كان في صغره من أشجع وأشهر قواد اللواء المشاة في أيام فرنسوا الأول ملك فرنسا (١٥١٥ — ١٥٤٧) .

وكان الملك فرنسوا هـذا مغرماً باقتناء الوحوش الضارية ومشاهدة صراعها في حديقة الوحوش التي أقامها لها خاصة .

في ذات مرة ، بينما الملك يشاهد الشجار مع حاشية من عظماء مملكته ، ومن بينهم سيدات يجلسن في مقاصير أنيقة ، إذا بواحدة منهن تلقي بقفازها بين الأسود ، وهي في أشد حالات الغضب والشراسة ، وتوجهت إلى عاشقها دي لورج الفارس النبيل طالبة إليه باستخفاف أن يعيد إليها قفازها ليؤكد أن حبه لها عظيم كما يقول ، ولكي تحقق من ناحية أخرى صدق شهرته أمام الجمهور الذي طالما تحدث عن شجاعته .

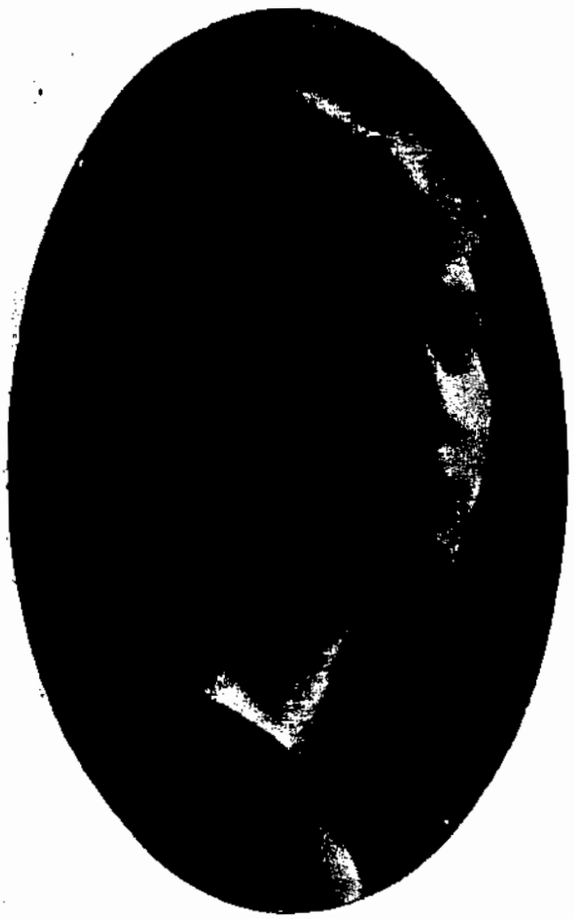

فانبرى الفارس مسرعاً دون أن تبدو عليه دهشة أو تردد ، وأخذ عباءته في إحدى يديه ، وسيفه في اليد الأخرى ، ثم دخل بجسارة نادرة في ساحة مساجلة الأسود ، وحالفه الحظ في التقاط القفاز من بينها ، وعاد به إلى سيدته بين إعجاب الحضور وهتافهم . وتبسمت له الحسناء ابتسامة الرضى والسرور

ولكن الضابط الهمام لم يأبه لإعجابها ، واعتبر سلوكها معه ضغينة مبيتة ، ولهذا رمى القفاز فى وجهها معرضاً عن أى شكر ومتحرراً من غرامه . وبذلك أقصاها إلى الأبد

(ب) منديل

كان للقائد العظيم دى جينليز de Jenlis الذى مات فى ألمانيا وهو يقود فرق الهوجينوت Huguenot فى الحرب الدينية الثالثة حسناء أغرم بها جداً فترة كان يعبر وإياها النهر من أمام اللوفر ، فأسقطت منديلها الفاخر فى الماء عمداً ، وطلبت إليه أن يغوص فى النهر ليعيد إليها منديلها . ولكنه لجهله بالسباحة اتخذ من ذلك مبرراً حسناً للاعتذار إليها

ولكنها لم تقنع — ولامته — بل اتهمته بأنه عاشق خائن جبان . فما كان من القائد الشجاع إلا أن ألقى بنفسه فى النهر دون أن ينبس ببنت شفة ، وحاول البحث عن المنديل عبثاً ، مضحياً بحياته لو لم يدركه قارب النجاة على الفور

نختتم بقصة شرقية مشابهة فيما يلى :

قصة ايرانية

الشاعر نظامى الإيرانى أشهر من نار على علم ، يرى فى مخطوط من كتابه « هفت پيكر » المحفوظ فى نيويورك ، صورة ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادى ، توضح أيضاً تشابه تصرف المرأة الشرقية وتصرف الغربية فى نفس الحقبة من الزمن

ذلك أن الصورة تمثل « بهرام جور » ملك إيران يثبت لحبيبته فروسيته ومهارته فى الرماية ، بإجابتها إلى ما طلبته منه وهو أن يلصق السهم وحافر حمار الوحش بأذنه . وقد توصل إلى ذلك بأن ضرب حمار الوحش فى أذنه بقطعة من الطين الجاف ، فلما رفع الحمار حافره ليحك أذنه من أثر الضربة ، رماه بهرام جور بسهم ثبت به حافره بأذنه

هذه قصص أربع أود لو تتفضل القارئات ومن يرغب من حضرات القراء بإبداء رأى فيها ، نصل من ورائه إلى مبدأ نؤسس عليه معاملة المرأة للرجل وبالعكس ، ولا سيما فى طور الخطبة

نجيب الحكيم

— انه افضل كريم لحلاقة الوجه . لأنه يرغي بمعدل ٣٠٠ مرة
— انه لاينشف على الوجه بل يجعل الوجه طرياً ناعماً للحلاقة
— ان فقاقيعه تجعل الشعر ينتصب فتمر عليه الموسى وتحلقه بسهولة
— انه هو الكريم الوحيد المركب من زيت الزيتون وزيت النخيل . لذلك يشعر الانسان بلذة بعد انتهاء الحلاقة